بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

لقد ألَّف حضرة مزرا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، هذا الكتاب العظيم بلسان عربي في سلسلة كتبه العربية البالغ عددها نحو خمسة وعشرين كتابا وهي ربع ما كتب حضرته بالعربية والأردية والفارسية.. يحكم به حضرته، بصفته الحَكَم العَدْل الموعود، في أهم خلاف نشب بين المسلمين؛ وهو الخلاف بين الشيعة والسنة. وقد أكد حضرته فيه أنه اختار أن يكتبه بالعربية متوجها به إلى العرب محسنا الظن بهم وبصلحائهم وأتقيائهم، وراجيا أن يقبلوه لما يتوخاه منهم من إخلاص وحب للصدق ولاتّباعه. فقد كان حضرته محبا للعرب بسبب حبه العظيم لسيده ومطاعه محمد المصطفى ﷺ، وكان ينتهز كل فرصة للتوجه إليهم في مؤلفاته بكلمات ترقّ لها القلوب وتفيض حبا صادقا خالصا.

وقد نشأت فكرة تأليف هذا الكتاب إثر توجه بعض الشيعة إليه عليه السلام يسألونه ليحكم في الخلاف بين الشيعة والسنة. ومع أن حضرته قد نشأ في أهل السنة، إلا أنه كان في صباه قد تعرف إلى الشيعة عن كثب حيث كان أحد مشايخهم أستاذا له، فتسنّت لحضرته عليه السلام الفرصة للاطلاع على أفكار الشيعة وأحوالهم، فأدرك أن سوء الظن وشتم الصالحين قد أودى بهم وقسّى قلوبهم.

وبما أن دعوى الشيعة تقوم على تفسيق الخلفاء الراشدين الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، وغالبية الصحابة – رضوان الله عليهم – فلم يشأ أن يحكم بما تميل إليه نفسه؛ بل فضّل أن يسأل الله تعالى عن حقيقة تلك الدعوى، فكان أن أنبأه الله تعالى بفساد رأي أهل الشيعة وأفكارهم حيث عادوا هؤلاء الأبرار وفسّقوهم واعتبروهم في زمرة المنافقين والكافرين، مع أن الصحابة هم خيرة الأخيار وكانوا عند الله من المقبولين وكانوا من تحققت فيهم سمات الخلافة وإماراتها.

فبدأ بتأليف هذا الكتاب متوكلا على الله تعالى جامعا فيه الأدلة والبراهين على بطلان هذه العقيدة الباطلة السخيفة التي تحملها الشيعة.

وقد كان المبدأ الأول الذي استند إليه حضرته عليه السلام هو أن يتم نبذ المرويات في هذه المسألة جانبا وترك الجدال فيها نظرا لظنيتها ولما يشوبها من تشويه. وهكذا فقد لجأ إلى القرآن الكريم واستخرج منه الأدلة القاطعة والبراهين الناصعة إلى جانب الأدلة العقلية على أن مسلك أهل الشيعة كان مخالفا تماما للقرآن الكريم. وبهذا فقد أكد مجددا على منهجه الفكري الذي تقوم عليه كل أعماله، والذي يقدم فيه القرآنَ على كل ما سواه ويقدم فيه اليقينيات على الظنيات.

وقد تلمس حضرته عليه السلام النقطة الحاسمة التي أوصلت حال الشيعة إلى ما هم عليه، وهي تضخيم فئة وتحقير أخرى وتكفير الآخرين بسبب الخلاف في الرأي والعقيدة. وبيَّن أن الكراهية قد أعمت أبصارهم وجعلتهم مائلين إلى الإنكار والتطرف في الرأي. وقد بيَّن حضرته أن القرآن الكريم لم ينـــزع صفة الإيمان عن أي من فئتين متقاتلتين وإن بغت إحداهما على الأخرى وطغت. كما أن القرآن قد سمى المختلفين

من المؤمنين إخوانا رغم خلافهم ورغم ما وقع في صدورهم من غل تجاه بعضهم بعضا، كما تكفل هو ﷻ بنـــزع الغلِّ من صدورهم. وبيَّن حضرته عليه السلام أن الخلاف قد يقع نتيجة الاختلاف في الاجتهاد بين أكابر الأتقياء ولا يكون نتيجة فساد نيات فئة دون أخرى، ولكن ينبغي أن يكون المنهج في تلك الحال هو طي هذه المخاصمات لا روايتها وإذاعتها.

وقد دافع حضرته عليه السلام عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقدّم الأدلة الساطعة على أنه رضي الله عنه كان من تحققت فيه آية الاستخلاف تحققا كاملا. وذكر مناقبه وأعماله العظيمة للإسلام وأوّلياته وصحبته وملازمته للرسول ﷺ في الحياة وفي الممات. كما دافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبيّن مناقبه وأعماله العظيمة. وأكد أنهما أوذيا كما أوذي الأنبياء وجرت عليهما سنتهم وهذه علامة ميراثهما لهم. وكذلك دافع عن عليٍّ رضي الله عنه وبيّن أن الشيعة قد أساءوا إليه بما نسبوه إليه مما لا يليق بمكانته ومقامه العظيم. كما دافع حضرته عن عثمان وسائر الصحابة رضي الله عنهم وبيّن أن القرآن يشهد لهم أن الله تعالى قد ألزمهم كلمة التقوى وكانوا خيرة عباد الله الصالحين.

وفي الباب الأول من هذا الكتاب الذي يتكون من مقدمة وتمهيد وبابين إضافة إلى رسالة وثلاث قصائد، تناول حضرته عليه السلام مسألة الخلافة وناقشها وبيّن حقيقتها ودلل عليها. كما تناول في الباب الثاني مسألة المهدي وحقيقة بعثته، وتناول الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية بسبب الفتن الداخلية والخارجية. وبين حضرته أن الله أرسله

إماما مهديا لإصلاح أحوال الأمة الداخلية ومسيحا موعودا لمقاومة الفتنة النصرانية الخارجية، وساق الأدلة على هذه الدعوى.

ولم يقتصر هذا الكتاب على تقديم الأدلة النقلية والعقلية فحسب، بل برزت فيه صبغة تحليلية أيضا امتاز بها حضرته، وبيّن من خلالها كيفية نشوء الآراء والأفكار الفاسدة وآثار تلك الآراء على من يعتقدون بها إضافة إلى مآل تلك الآراء ومؤداها ونتائجها. كذلك فقد دعا حضرته الشيعة في أوله إلى المباهلة إن لم يقبلوا حجته، ودعا السنة والشيعة في آخره إليها إن لم يقبلوا دعوته وأعرضوا عنها مستكبرين. وهكذا فجاء هذا الكتاب محكمًا شاملا للأدلة والتحليل مستندا إلى الوحي في بدايته ومشفوعا بدعوة إلى المباهلة إثباتا للحق في أوله وفي آخره. كل ذلك في قالب أدبي عربي فريد رصين مليح ممتع تميزت به كتابات حضرته.

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكَتَبَ - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، كقوله عليه السلام:

"فإن الحق لا تخلو من المرارة." (ص ٤) فحمل الحق على الحقيقة.

"ما ذكر في كتابه المبين أن الحياة حياة روحاني وليس كحياة أهل الأرضين، بل أكد الحياة المظنون بقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾"(ص ٦٩-٧٠) فحمل الحياة على العيش.

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:

- ﴿فظلتْ أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء: ٥)
- ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله﴾ (فصِّلت: ٢٢)
- ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٦)

يقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص... وقال الله عز وجل: السماء منفطر به، فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف، وكلُّ ما علاك وأظلّك فهو

سماء". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجمع، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله تعالى ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص *(أو الجرم)*. (الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، الجزء الثاني ص ١٠٢ الطبعة الأولى ١٩٨٥ مؤسسة الرسالة بيروت)

ثانيًا: إطلاق المفرد على الجمع والعكس، كما في قوله عليه السلام:

"هذه الأيام أيامٌ تتولد فيه الفتن كتولُّد الدود في الجيفة المنتنة، وتضطرم فيه الأهواء كاضطرام النيران من الخُشُب اليابسة." (ص ٢)

"فتنسى أشياء يخالفه." (ص ٥)

ومثاله في القرآن الكريم:

- ﴿ثم يُخرِجكم طفلا﴾ (غافر: ٦٩)، أي أطفالا.
- ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرْهم﴾ (المنافقون: ٥)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل:٦٧)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون:٢٢)

ثالثا: ورود إعراب بعض الأسماء على عكس ما هو المألوف عادة، كقوله عليه السلام:

"اختطبَ بنتَ أبا الجهل." (ص ٢٠)

ورد في "موسوعة الصرف والنحو":

من العرب من يقول في "أب" و "أخ" و "حم": هذا أبُك، ورأيتُ أبَك، ومررتُ بأبِك. أي إنه يعربها بحركات ظاهرة.... ومنهم من يلزمها الألف في حالات الإعراب الثلاث، ويعربها إعراب الاسم المقصور بحركات مقدرة على الألف سواء أضيفت أو لم تُضَفْ، نحو: "جاء أبًا" و "شاهدتُ أبًا" و "مررت بأبًا" ومنه قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

(موسوعة الصرف والنحو للدكتور إميل بديع يعقوب، الأسماء الستة، ص ٨١، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء للذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم: مصطفى ثابت، المهندس تميم أبو دقة، هاني طاهر، السيدة مها دبوس، محمد عصام الخامسي، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مبشر أحمد كاهلون، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خانْ، الحافظ مظفر أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب فيصلا للحق للطالبين، وأن ينفع به عباده، وأن يجعله سببا لهدايتهم إلى الصراط المستقيم، آمين.

الناشر